جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية

محاضرات الدراسات العليا/الماجستير/ مصادر لغوية

مدرس المادة: أ.د. ناظم ذياب أحمد

المحاضرة العاشرة: المقاطع والمبادئ لأبي حاتم السجستاني

تمهيد لعلم الوقف والابتداء

الوقف والابتداء علمٌ من علوم القرآن الكريم، وهو فن جليل به يعرف كيفية أداء القراءة، وكذلك لأنّ من تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه، وغريبه، معرفة الوقف والابتداء فيه.

وقد اعتنى القرّاء بالإعراب من حيث اقترانه بالوقف وقاموا ببناء الكثير من أحكامهم على أسس إعرابية فلكل وقفٍ معنى وإعراب وبهما يتغير نوع الوقف، ومعرفة الوقف فيها تبيين لمعاني القرآن العظيم، وتعريف لمقاصده، وإظهار لفوائده، وبه يتهيأ الغوص في درره وفرائده٠

وعلى هذا فالوقف والابتداء يمثلان جانبا في غاية الأهمية في الأداء القرآني، فضلاً عن أنه ينبغي في الوقف مراعاة استقامة المعنى، وصحة اللغة، ومن ثم فلا ينهض بهذا الفن إلا من له باع في العربية، عالم بالقراءات، عالم بالتفسير، عالم باللغة التي نزل القرآن الكريم بها على قلب سيدنا ومولانا محمد (صلى الله عليه وسلم)٠

للوقف والابتداء أثرٌ كبيرٌ في بيان معنى الجملة وفهمها الفهم الصحيح ،فلذلك يُعدّ من الموضوعات المهمة التي لابدّ لقارئ القرآن الكريم أنْ يعرفها ويراعيها في قراءته تطبيقاً وامتثالاً لقوله تعالى:{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ...}ص٢٩،وقوله تعالى:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }محمد٢٤.

فهو يُبين معاني القرآن ومقاصده فلا يقف القارئ ويبتدئ إلا باستقامة المعنى مع صحة اللغة وما تقتضيه علومها ،ويدلّ على ذلك أحاديث عن رسول(صلى الله

عليه وسلّم) وهي رواية عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقطع قراءته آية آية:{ الحمد لله رب العالمين } ثم يقف { الرحمن الرحيم } ثم يقف قال ابن أبي مليكة : وكانت أم سلمة تقرأها { مالك يوم الدين }.

والآخر في قوله(صلى الله عليه وسلّم): (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فَاقرؤوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكرَ رحمةٍ بعذاب ، ولا ذكر عذابٍ برحمة)، قال النحاس معقباً على ذلك: (فهذا تعليم الوقف التمام توقيفاً من رسول الله(صلى الله عليه وسلّم) بأنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب ويفصل مما بعدها ، إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب ، نحو:{ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ }الانسان٣١ لا ينبغي أن يقول:{ وَالظَّالِمِينَ }؛لأنه منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل ، أي : ويعذب الظالمين ، أو وأوعد الظالمين)

وكذلك يؤيد ذلك ماأُثر عن الصحابة رضوان الله عليهم فقد سُئل علي(رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالى:{ورتل القرآن ترتيلاً} فقال:(الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف) .

فقال ابن الجزري: (ففي كلام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلمه ومعرفته).

واهتم أصحاب الوقوف بالوقف فقال أبو حاتم السجستاني: (من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن) وقال ابن الأنباري(ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانبه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه)

ومن هذا تتبين مشروعية تعلم الوقف والابتداء ومدى اهتمام العلماء بهذا العلم فلا يتحقق عندهم فهم كلام الله تعالى وإدراك معانيه إلا بهذا العلم حتى أنّ كثيراً منهم اشترط على الشيخ المجيز أن لا يُجيز أحداً إلا بعد معرفة الوقف والابتداء.

تعريف الوقف والابتداء

الوقف لغة :

قال ابن فارس:(وقف: أصل واحد صحيح يدل على تَمَكُّثٍ في شيء ثُمَّ يُقاس عليه).

وترى المعجمات أنّ الوقوف خلاف الجلوس :وقف بالمكان وقفا، ووقوفا، فهو واقف

اصطلاحاً :

الوقف عند القراء له معنيان :

الأول : معرفة كيف يوقف، وكيف يبتدأ ، وهذا يتعلّق بفن التجويد، وعلم الصوت والصرف

فمن المعروف أنّ لكل حرف صفاته الصوتية من الجهر والهمس والشدة والرخاوة وغيرها، والوقف هو سلب الحركة ، والوقوف على بعض الحروف يزيدها وضوحا كالقلقلة أو يشددها أو يبدلها حرفا آخر أو يميلها أو يكررها وهكذا.

والثانى : معرفة ما يوقف عليه، وما يبتدأ به، وهذا يتعلّق بالتراكيب النحوية والدلالية.

وللوقف تعريفاتٌ كثيرة أهمها:

تعريف الجَعْبرِي الذي أكد فيه على الربط بين المضمون اللغوي والمعنى الاصطلاحي بقوله : (الوقف الصناعي مُشْتَقٌ من الوَقْفِ اللغوي فلا دَوْرَ خلافاً لمدعيه ، تقول العرب : وَقَفْتُ على كلامك : تركتُه ، فالواقف تارك الوصل ، وقيل : تارك الحركة).

وعَرَّفَه ابن الجزري بأنّه:(عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفسُ فيه عادة بنية استئناف القراءة ، إمَّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله).

الابتداء:

لغةً :

الابتداء ضد الوقف ،وجاء من مادة (ب د ء) والتي تدل على افتتاح الشيء.

واصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني بأنّه: أول جزء من المصراع الثاني، وعرّفه الصفاقسي بأنّه الشروع في الكلام بعد قَطْعٍ أو وَقْفٍ ،واستنبط المعاصرون تعريفاً للابتداء من خلال تعريف الجزري للوقف:(هو استئناف القراءة بعد الوقف ،أو هو الشروع في التلاوة بعد قطعٍ أو وقف).

أهم المؤلفات في الوقف والابتداء

أُلِّف في هذا العلم كتبٌ كثيرة منها ماوصل إلينا ومنها مالم يصل وما وصل منها فمنه مطبوع ومنه مخطوط ، وسنذكر من الكتب المطبوعة المشهورة:

١. الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لمحمد بن سعدان الكوفي الضرير(ت٢٣١هـ)، تحقيق محمد خليل الزَّرُّوق، ط١،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،دبي،١٤٢٣ه-٢٠٠٢م .
٢. كتابُ المقاطع والمبادئ لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) جمعٌ وتحقيقٌ ودراسة رسالة ماجستير لإبراهيم أحمد خلف محمد السبعاوي كلية التربية جامعة تكريت٢٠٠٩
٣. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكرمحمد بن القاسم الأنباري تـ(٣٢٨هـ)تحقيق عبدالرحيم الطرهوني،دار الحديث القاهرة٢٠٠٧.
٤. القطع والائتناف أو الوقف والابتداء تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(٣٣٨هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى٢٠٠٢.
٥. المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني تـ(٤٤٤هـ)دراسة وتحقيق د.جايد زيدان مخلف،مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية١٩٨٤ .

كتاب المقاطع والمبادئ لأبي حاتم السجستاني(ت٢٥٥ه)

وهذا الكتاب مفقود وقد ذكرته كتب الوقف وكتب التراجم ثم قام أحد طلاب قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة تكريت بجمع هذا الكتاب من بطون الكتب التي اعتمدت آراء السجستاني وأهمها كتب الوقف.

حياة أبي حاتم وجهوده العلمية

أولاً : اسمه :هو سهل بن محمد بن عثمان ، أبو حاتم السجستاني ، هذا ما اتفق عليه أصحاب التراجم والطبقات

يُنسب أبو حاتم إلى قبيلة جُشَم ، وجشم وإن كانت تطلق على عدة قبائل ، فكلها عربية ، وإلى بلده سِجِسْتَان ، وسجستان البلاد الواقعة في أطراف خراسان

لم تتحدث كتب التراجم إلا قليلاً عن أخبار أبي حاتم ، وكل ما أمكن استنباطه منها أنه كان فتى يطلب العلم بالبصرة ، والتقى كثيرا من العلماء والأدباء .

أخذ اللغة عن فصحاء الأعراب وشيوخ العربية في زمانه كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري .وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش سعيد بن مسعدة مرتين ، وكان حسن العلم بالعروض .

كتب الحديث عن طائفة من المحدِّثين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له النسائي في سننه ، والبزار في مسنده ، ودرس علوم القرآن على يعقوب الحضرمي

، وكان أبو حاتم متأثراً ومعجباً به حتى قال فيه : أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء

لم يُعرف عن أبي حاتم أنه غادر البصرة إلا لماماً ، وقد غادر إلى بغداد ، لكن إقامته فيها لم تطل فسرعان ما تركها لحادثة وقعت له في أحد مساجدها.

شيوخه:

وهم كثر ونذكر منهم:

إسماعيل بن أويس (ت ٢٢٦هـ) .

أيوب بن المتوكل (ت٢٠٠هـ) .

حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ).

روح بن عبادة بن العلاء القيسي (ت ٢٠٥هـ) .

تلاميذه:

وهم كثر كذلك نذكر منهم:

إبراهيم بن أبي طالب النيسابوري (ت ٢٩٥هـ) .

إبراهيم بن حميد الكلابزي النحوي (ت ٢٧٨هـ) .

أحمد بن سلمة البزاز صاحب المسند (ت ٢٨٥هـ) .

ومن كتبه:

وله مصنفات كثيرة جدا نذكر منها:

شرح نوادر أبي زيد الأنصاري .

شرح غريب الأبنية في كتاب سيبويه.

المُعَمَّرون والوصايا .

المقاطع والمبادئ .

المقصور والممدود .

وفاته : اختلف المؤرخون في سنة وفاة أبي حاتم ، فقيل أنه "توفي سنة ثمان وأربعين ومئتين" . وقيل أنه "توفي فيما قيل سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين" . وقيل " أنه مات في سنة خمس وخمسين ومئتين في خلافة المستعين".

والراجح من هذه الآراء هو أن وفاته كانت سنة خمس وخمسين ومئتين

كتابه:

ورد ذكر كتاب أبي حاتم في كتب التراجم والطبقات وفي كتب الوقف والابتداء بأسماء مختلفة، والاسم الأشهر والأكثر هو (المقاطع والمبادئ) كما ورد باسم(الوقف والابتداء) ، وورد باسم (كتاب الوقوف) ، وورد باسم (المقاطيع) ، ويرى الباحث أن تلك التسميات الثلاث الأخيرة أُطْلِقَتْ على مضمون الكتاب وليست أسماء للكتاب .

منهج أبي حاتم في كتابه

من أهم الأسس التي اعتمدها :

١.تحدث أبو حاتم عن منهجه في ترتيب كتابه،والدليل على ذلك أنه قدم له بمقدمة ذكر فيها أنواع الوقوف .

٢. تناول أبو حاتم الوقوف آية آية وسورة سورة على ترتيب المصحف .

٣. اعتمد أبو حاتم اللغة والمعنى (التفسير) والقراءات معياراً ومنهجاً سار عليه .

٤.لم يعتنِ أبو حاتم ببيان الوقف على رؤوس الآيات ، لأنه صرح أن "أواخر الآيات كلها وقوف في الأغلب"

أنواع الوقوف عنده:

الوقف التام والوقف الكافي والوقف الحسن وهذه التي اعتمدها في كتابه ورويت عنه أنواع من الوقوف أخرى وهي الوقف الصالح والوقف المفهوم والوقف الجيد ووقف البيان والوقف الجامع ووقف التذكر والوقف القبيح